دور النعت في تماسك النص القرآني
سورة (ق) نموذجا

د. محمد عويس جمعة محمد صبرة
أستاذ مساعد النحو والصرف والعروض
الكلية الجامعية بالجموم – جامعة أم القرى
dmohew@yahoo.com

تاريخ التحكيم: ٢٠/ ١١/ ١٤٣٨ تاريخ الإفادة: ٢٧/ ١/ ١٤٣٩

المستخلص:

ناقش هذا البحث دور النعت في التماسك النصي للقرآن الكريم كأحد أهم التوابع التي احتلت مساحة وافرة في النص القرآني بصفة عامة، وفي سورة (ق) بصفة خاصة، وخرج البحث بنتيجة مفادها: أن الدور النحوي والدلالي للنعت – في النص – يأتي عموما لتمام الفائدة والمراد، وتتم هذه الفائدة بمشاركة الخبر وغيره من خلال إثارة انتباه المتلقي بما يلقى عليه من عموم النكرة، ثم يحدد ويخصص هذا التنكير من خلال الصفات.

وقد أسهمت هذه العلاقة في تماسك آيات سورة (ق) وتشكيل دلالتها بصورة واضحة. وقد وضع النحاة أصولا عامة تحدد الدور الدلالي للنعت، كالمطابقة بينهما في الإعراب والنوع والعدد والتبعية؛ وأن ما خرج عن أصل المطابقة كان لغرض دلالي اعتمدت فيه اللغة على وسيلة الحمل على المعنى باعتباره قانونا لغويا معتدا به في تفسير بعض هذه التراكيب المشكلة.

الكلمات المفتاحية:

التماسك النصي – نحو النص – دور النعت في تماسك النص – سورة (ق).

مقدمة البحث

أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيبـًا، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد أتم صلاة وأكمل تسليم، وبعد..

فقد اختار هذا البحث (دور النعت في تماسك النص القرآني، سورة (ق) نموذجا)، وهو من الأهمية بمكان حين نعلم أن النعت أحد أهم التوابع التي احتلت مساحة وافرة في القرآن الكريم بصفة عامة وفي سورة ق بصفة خاصة.

وقد اختار هذا البحث -كذلك- سورة (ق) نموذجا؛ لأنه لا تكاد تخلو آية فيها من النعت، فقد ضمت سورة (ق) وحدها سبعة وعشرين نعتا من بين عدد أياتها البالغ خمسـًا وأربعين آية، أي ما يعادل ستين بالمائة من مجموع أياتها. وسورة (ق) سورة مكية آياتها خمس وأربعون آية، وعدد كلماتها: ثلاثمائة وخمس وسبعون كلمة، وعدد حروفها ألف وأربعمائة وأربعة وسبعون حرفا.

وقد جاءت سورة (ق) تذكر النبي ﷺ وأصحابه بما كان في بدء الدعوة الإسلامية من عناد المشركين الضالين السفهاء وقد تحولت بهم الأحوال، وأوشكوا أن يدخلوا في دين الله بعد أن كُسرت شوكتهم، وبدأت غشاوة الضلال والسفه تنجلي عن أبصارهم، بما رأوا من إعزاز الله لدينه، ونصرته لأوليائه، فجاءت السورة مليئة بالأنماط التركيبية للنعت بأنواعه: المفرد، والجملة، للتعبير عن تلك الأحوال من خلال التفاعل القائم بين دلالات الألفاظ ومعاني النحو.

أما المنهج الذي اعتمدته في هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمدت فيه على الوصف والتحليل لكل ما جاء بسورة (ق) من تراكيب نعتية وعرضه على ما قال به النحاة ولا يخلو ذلك من مناقشة لهذا الرأي أو ذاك، وإبداء الرأي في بعض المواضع.

وأما مصادر هذا البحث ومراجعه فقد تنوعت بين القديم والحديث وقد جعلت جل اهتمامي بالمصادر الأصلية وبخاصة تلك التي تناولت النص القرآني فجاءت في الصدارة مؤلفات أعلام مثل: الفراء، وأبي حيان، وابن جني، وغيرهم.

وأما الحديثة فقد أفدت من الكثير وبخاصة تلك المراجع التي تناولت بالدراسة نحو النص.

❐ النعت لغة واصطلاحاً:

يعد النعت أحد التوابع التي احتلت مساحة واسعة في القرآن الكريم بصفة عامة، وفي سورة (ق) بصفة خاصة.

ولابد من التنبيه على أن مذهب جمهور النحاة أن العامل في النعت هو العامل في متبوعه(١).

❁ مصطلح النعت:

النعت في اللغة ما نعت به(٢).

وفي الاصطلاح: هو تخصيص الاسم بصفة هي له، أو لسبب يضاف إليه(٣)،

(١) شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب تأليف الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ٦٨٦ هـ تحقيق أ. د. يوسف حسن عمر طبعة ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م، جامعة قار يونس - ليبيا:٢/ ٣٠٨، وأسرار العربية، لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق محمد بهجة البيطار مطبوعات المجمع العلمي بدمشق٢٩٥، والأشباه والنظائر لأبي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد العال سالم مكرم، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م١(/ ٢٧٥).

(٢) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م (نعت) :١٤/ ١٩٧.

(٣) نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد للسُّهَيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، =

أو هو التابع المكمل لمتبوعه ببيان صفة من صفاته أو من صفات ما تعلق به، أي: سببية[١]. وعلى هذا فالنعت على قسمين: أحدهما حقيقي، والآخر سببي.

اعتاد معظم النحاة على استعمال مصطلح النعت والصفة بمعنى واحد دون تفريق، صرح بذلك ابن يعيش في قوله[٢]: «الصفة والنَّعْت واحدٌ، إلا أن بعضهم فرق بين النعت والصفة فذهب إلى أنّ النعت يكون بالحِلْية، نحو: "طويل"، و"قصير"، والصفةَ تكون بالأفعال، نحو: "ضارب" و"خارج". فعلى هذا يقال للبارىء سُبحانَه: موصوفٌ، ولا يقال له منعوتٌ، وعلى الأوّل هو موصوفٌ ومنعوتٌ.

والصفةُ لفظٌ يتبع الموصوفَ في إعرابه تَحْلِيَةً وتخصيصًا له بذِكْرِ معنًى في الموصوف، أو في شيء من سَبَبه، وذلك المعنى عَرَضٌ للذات لازمٌ له». ذكر ذلك الأشموني بقوله[٣]: «النعت ويقال له الوصف والصفة...».

بيد أن هناك من النحاة من فرق بين المصطلحين في الاستعمال، نقل ذلك ابن فارس عن الخليل بن أحمد الفراهيدي قوله[٤]: «وذُكر عن الخليل أن النعت لا

=

تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى: ١٤١٢ - ١٩٩٢ م:ص ١٥٨.

(١) النحو الوافي. لعباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، طبعة دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة : ٣/ ٤٣٧.

(٢) شرح المفصل، لعلي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م: ص٢/ ٣٣٢.

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق مصطفى حسين أحمد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط الأولى ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م: ص٣/ ٥٦.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، طبعة محمد علي بيضون الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ص٥٢.

يكون إِلاَّ فِي محمود، وأن الوصف قَدْ يكون فِيهِ وَفِي غيره.

والنَّعتُ: يجري مَجرَيَيْن: أحدهما تخليص اسم من اسم كقولنا "زيد العطَّار" و"زيد التَّمِيميّ" خلصناه بنعته من الَّذِي شاركه فِي اسمه. والآخر عَلَى معنى المدح والذم نحو"العاقل" و"الجاهل"».

نخرج من هذا بنتيجة مفادها أن النعت والوصف مصطلحان كلٌ منهما يتحد مع الآخر في معناه عند النحاة، ويرادفه الوصف في أصله الذي وضع له، إلا أن النعت أكثر استعمالا وانتشاراً بين النحاة؛ لأن مصطلحَ النعت أخصُ وألزمُ للمضمون من الصفة.

❐ وظائف النعت الدلالية:

أهم غرض يقوم به النعت هو تخصيص النكرة وإزالة الاشتراك العارض في المعرفة إذ يجب أن يُجعل للمعرفة – حال تعرى منها – مشاركة الاسم ليتميز به يقول ابن يعيش[1]: «والصفةُ لفظٌ يتبع الموصوفَ في إعرابه تَحْلِيَةً وتخصيصًا له بذِكْرِ معنًى في الموصوف، أو في شيء من سَبَبه، وذلك المعنى عَرَضٌ للذات لازمٌ له».

فالاسم – كما نفهم من كلام ابن يعيش – يتميز من خلال المعاني التي يضيفها النعت إلى المنعوت.

ويقول أستاذنا الدكتور حماسة: «ولما كان الغرض من النعت ما ذكرناه من تخصيص النكرة، وإزالة الاشتراك العارض في المعرفة وجب أن يُجعل للمنعوت حال تعرى منها مشاركه في الاسم؛ ليتميز به، وذلك يكون بعدة وجوه إما بخِلْقَةٍ نحو: طويل، وقصير، وأبيض، وأسود، ونحوها من صفات الحلية، وإما بفعل اشتهر

(١) شرح المفصل: ٣/ ٨٨.

به وصار لازما له... ونحو ذلك من الخاصة التي لا توجد في مشاركه»[١].

وهي على وجوه منها: خِلْقيَّةٌ، كما في: طويل، وقصير، وأبيض، وأسود، ونحوها من صفات الحِلْية، ومن ذلك قول الله تعالى[٢]: ﴿قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾، وإما بفعل اشتهر به فصار لازما له، وإما حرفية مكتسبة، وإما نسبية.

❁ دور النعت الدلالي:

دور النعت في النص يأتي عموما لتمام الفائدة والمراد بذلك ما يطلبه المتبوع بحسب المقام من توضيح، أو تخصيص، أو مدح، أو ذم، أو ترحم، أو توكيد.

والدور الدلالي للنعت وظيفة سياقية، بمعنى أن لكل تركيب خصوصيته ودلالته التي هي محصلة تحليل العناصر السياقية المتنوعة المتشابكة «ومن ثَّم فإن تحديد الوظيفة الدلالية هي أمر مرهون بالسياق بعناصره المتنوعة»[٣]، ولابد أن ننوه أن ثَمة «فرقا بين الصيغ النحوية، والمعاني النحوية، فالصيغ النحوية ثابتة أما المعاني النحوية – على الوجه الذي أود الكشف عنه – فإنها تتوقف على أنواع السياق التي تكتنفها، وكل معنى نحوي ذو دلالة خاصة ترتبط دلالته الخاصة هذه بالموقف الذي يرد فيه»[٤].

وقد وضع النحاة أصولا عامة تحدد الدور الدلالي للنعت من توضيح، أو

---

(١) التوابع في الجملة العربية، للدكتور/ محمد حماسة عبداللطيف طبعة مكتبة الزهراء – ١٩٩١. ص٢٦، ٢٧.

(٢) سورة (ق) الآية : (١).

(٣) التركيب النعتي في العربية للدكتور السيد علي خضر.مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة العدد السابع والعشرون، أغسطس ٢٠٠٠. ص١٦٦.

(٤) اللغة وبناء الشعر للدكتور/ محمد حماسة طبعة مكتبة الزهراء بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٩٩٢ م. :ص ٤٥.

تخصيص، أو مدح، أو ذم، أو ترحم، أو توكيد وقد تحققت هذه الأدوار الدلالية للنعت في معظم سور القرآن الكريم بصفة عامة. وفي سورة (ق) بصفة خاصة.

❑ معنى التماسك النصي:

إن موضوع التماسك النصي يتصل اتصالا مباشرا بالفكر حيث إن تماسك الرسالة اللغوية يرجع إلى تماسك المفاهيم التي تعبر عنها، وتماسك المفاهيم يرتبط بتماسكها في ذهن قائلها، حيث يرتب معانيه في رسالته حسب ترتيبها في نفسه(١).

ومن ثَّم فطبيعة التماسك في النص ما هي إلا «بحث في البنية الفكرية لصاحب النص وفي الصورة البنائية التي تمثل جزءا أساسًا من أسلوبه»(٢).

ولقد عد عبد القاهر الجرجاني تأليف البنية اللغوية للقرآن الكريم أهم أوجه الإعجاز فيه، وأسس نظريته، في النظم، والتي تجسد وتكشف طبيعة التأليف بين المفردات داخل المنظوم؛ كما كشف في عبارة وجيزة عن العلاقة بين اللفظ والمعنى والفكر حين بيَّن أن الناظم «يقتفي آثار المعاني ويرتبها على حسب ترتب المعاني في النفس»(٣).

---

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ت محمود محمد شاكر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ (بدون): ص٤٩.

(٢) علم اللغة بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية: د/ صبحي إبراهيم الفقي دار قباء، القاهرة، وانظر بلاغة الخطاب وعلم النص ٢٣٦.د/ صلاح فضل المجلس الوطني للثقافة. ص١/ ٩٨.

(٣) دلائل الإعجاز :٤٩. بتصرف.

وقد عد ابن طباطبا التماسك ميزة يتميز بها ملفوظ عن آخر، بقوله[١]: «وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما، يتسق به أول الكلام مع آخره على ما ينسقه قائله».

فأفضل الشعر وفق كلامه هو ما يتسق أوله مع آخره، وفق ما ينسقه قائله.

هذا وقد كانت هناك إشارات عند معظم العلماء القدامى إلى التماسك وأهميته.

يقول ابن رشيق[٢]: «العرب تنظر في تلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض»[٣].

وقد أخذت دراسة التماسك حيزا كبيرا من اهتمام علماء النص؛ وذلك راجع إلى ما رأوا من أهمية التماسك في إبراز دلالة النص، ومضمونه ومن ثَّم كان الاهتمام كبيرا بالتماسك، وأثره في إبراز دلالة النص، وعلاقته بنظم التفكير.

وعلى هذا فالتماسك يعد بحثا في دلالة النص التي لا تتضح إلا من خلال تماسك مفرداته، وبناءً على ذلك نستطيع القول إن دراسة التماسك هي دراسة لدلالة النص، تكشف لنا عن تركيب النص كصرح دلالي[٤]، وعناصر هذا التركيب، وأبرز الوسائل والعلاقات التي تربط بين عناصر النص، وأثرها في تشكيل نصيته.

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون – دار الجيل – بيروت– لبنان بدون تاريخ ورقم طبعة. :ص١/ ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ت. د/ النبوي عبد الواحد شعلان مكتبة الخانجي القاهرة.ط ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.ص ١/ ١٣٣، ٢٠٠

(٣) السابق :ص١/ ١٣٣، ٢٠٠.

(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ص١/ ١٠٠.

ويقسم العلماء التماسك إلى قسمين: تماسك لفظي وهو ما يسمى عند بعض الباحثين بالسبك، أو التضام، أو الاتساق، ويختص بالوسائل والأدوات التى تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص، وهذه الوسائل متعددة أهمها: الإحالة، والربط بالأداة، والعلاقات النحوية، والحذف، والتكرار... وهذا النوع من التماسك يحكمه النحو.

أما القسم الثاني فهو التماسك الدلالي: وهو الحبك، أو التقارن، أو الانسجام فهو عند بعض الباحثين في غاية الأهمية[١]؛ إذ إنه يكشف الوحدة الدلالية للنص، ويجسد استمرارية المفاهيم والعلاقات داخل النص. وينقسم التماسك الدلالي إلى تماسك دلالي طولي وتماسك دلالي كلي شامل[٢].

أما التماسك الدلالي الطولي فيبرز من خلال العلاقات بين معاني الجمل، وأما التماسك الدلالي الكلي الشامل فينطلق من البنية الدلالية الكبرى للنص، وموضوعه، وعنوانه.

❐ دور النعت في التماسك القرآني:

أهم دور يقوم به النعت في تماسك النص القرآني هو تتميم الفائدة الأساسية للجملة، فقد لا يتم المعنى الأساس للجملة إلّا بانضمام النعت إليها وهو غرض دلالي ففي قوله تعالى ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[٣] لا

---

(١). نحو أجرومية للنص الشعري، ودراسة في قصيدة جاهلية للدكتور سعد مصلوح بحث مجلة فصول المجلد (١٠) العددان الأول والثاني يوليو واغسطس ١٩٩٢م، ص ١٥٤.

(٢) النص والخطاب والاتصال للدكتور / محمد العبد، طبعة الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ط ٢، ٢٠١٤ م. :ص٩٣.

(٣) سورة ق الآية: ٢.

يمكن أن يصح المعنى الأساس _ هنا_ بغير النعت (عجيب)، فحينما أقول: (لا خير في شيءٍ ضارٍ)، لا فائدة في قولي (لا خير في شيءٍ) بل لا يصح أن يقال هنا إلا مع المتمم وهو – هنا – النعت.

وقد أشار النحويون إلى هذا الدور الدلالي للنعت عند تعرضهم للنصوص القرآنية من ذلك تعليق أبي حيان على قوله تعالى[١]: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ بقوله[٢]: «وَالْخَبَرُ نِسَاءً بِصِفَتِهِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ، لِأَنَّهُ لَا تَسْتَقِلُّ فَائِدَةُ الْأَخْبَارِ بِقَوْلِهِ: نِسَاءً وَحْدَهُ، وَهِيَ صِفَةٌ لِلتَّأْكِيدِ تَرْفَعُ إِنْ يُرَادَ بِالْجَمْعِ قَبْلَهُمَا طَرِيقُ الْمَجَازِ، إِذْ قَدْ يُطْلَقُ الْجَمْعُ وَيُرَادُ بِهِ التثنية. وَأَجَازَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنْ يَكُونَ نساء خبرا ثانيا، لـ (كان)، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ لَا بُدَّ أَنْ تَسْتَقِلَّ بِهِ فَائِدَةُ الْإِسْنَادِ. وَلَوْ سَكَتَ عَلَى قَوْلِهِ: (فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً) لَكَانَ نَظِيرَ، (إِنْ كَانَ الزَّيْدُونَ رِجَالًا)، وَهَذَا لَيْسَ بِكَلَامٍ. وَقَالَ بَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ: التَّقْدِيرُ: (وَإِنْ كَانَ الْمَتْرُوكَاتُ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ). وَقَدَّرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ: الْبَنَاتُ أَوِ الْمَوْلُودَاتُ».

ومفهوم كلام أبي حيان أن المعنى لا يتم دون نعت الخبر (نساء) في الآية السابقة من سورة النساء، فالخبر – هنا – بصفته هو (فوق اثنتين) على حد تعبيره؛ إذ لا يمكن أن يستقيم المعنى بغير هذا النعت.

فالنعت والمنعوت إذاً عنصران متلازمان في سياق التركيب النحوي للجملة؛ وذلك لأن المنعوت يفتقر إلى نعته الذي يتمم معناه؛ «فالنعت يتمم منعوته بدلالته على معنى في المنعوت، أو في متعلقه، يطلبه بحسب ما يقتضيه المقام من تخصيص،

---

(١) سورة النساء من الآية :١١.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحقيق/ صدقي محمد جميل، طبعة دار الفكر – بيروت طبعة ١٤٢٠ هـ. : ٣/ ٥٣٦.،

أو إيضاح، أو تعميم، أو مدح، أو ذم، أو ترحم، أو توكيد، أو إبهام، أو تفصيل»[١]، فإذا اقتضى المقام أحد هذه المعاني في المنعوت أصبح لزاما على ذلك المنعوت أن يتضام إليه عنصر آخر وهو النعت؛ لتحقيق ذلك المعنى؛ وهذا يؤدي إلى قيام علاقة تلازمية بين النعت ومنعوته، تجعلهما معا بمنزلة الشيء الواحد.

وقد عبر سيبويه عن تلك العلاقة القوية بين النعت والمنعوت بقوله: «فأما النعت الذي جرى على المنعوت، كقولك: مررت برجل ظريف قبلُ، فصار النعت مجرورا مثل المنعوت؛ لأنهما كالاسم الواحد، وإنما صارا كالاسم الواحد من قبل أنك لم ترد الواحد من الرجال الذين كل واحد منهم رجل، ولكنك أردت الواحد من الرجال الذين كل واحد منهم رجل ظريف، فهو نكرة، وإنما كان نكرة؛ لأنه من أمة كلها له مثل اسمه، وذلك أن الرجال كل واحد منهم رجل، والرجال الظرفاء كل واحد منهم رجل ظريف، فاسمه يخلطه بأمته حتى لا يعرف منها»[٢].

والملاحظ من كلام سيبويه هذا أنه يؤكد على العلاقة القوية بين النعت والمنعوت لأنهما كالاسم الواحد وهي علاقة وثيقة.

كما وضح ابن يعيش ذلك أيضا في شرح المفصل بقوله: «وإنما قلنا إنهما كالشيء الواحد من قبل أن النعت يخرج المنعوت من نوع إلى نوع أخص منه، فالنعت والمنعوت بمنزلة نوع أخص من نوع المنعوت وحده، فالنعت والمنعوت بمنزلة إنسان، والمنعوت وحده بمنزلة حيوان، فكما أن إنسان أخص من حيوان، كذلك النعت والمنعوت أخص من النعت وحده»[٣].

---

(١) بناء الجملة العربية : ٥٤.

(٢) الكتاب: تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون. :١/ ٤٢١

(٣) شرح المفصل:٣/ ٥٥.

ولعل في تأكيد النحاة على ضرورة المطابقة -من حيث الإعراب والعدد والنوع والتعريف أو التنكير – بين النعت ومنعوته إشارةً إلى تلك العلاقة القوية بحيث يصيران كالاسم الواحد فمن صور هذه المطابقة –مثلا- المطابقة في التعريف أو التنكير بينهما؛ حيث "لا توصف معرفة بنكرة ولا نكرة بمعرفة؛ لأن الصفة والموصوف شيء واحد ولا يصح أن يكون الشيء معرفا ومنكرا في آن واحد»[١].

ولقد عقد المبرد بابا في مقتضبه يفهم من تسميته التأكيد على تلك العلاقة الوثيقة بين النعت ومنعوته، فقد أسماه: «الصفةَ التي تُجعل وما قبلها بمنزلة شيء واحد، فيحذف التنوين من الموصوف»[٢].

وقد أشار الأستاذ عباس حسن إلى أداء النعت بهذا الغرض، ورأى أن الفائدة الأساسية للجملة قد لا تتم إلا بإجماع الخبر والنعت في بعض الأحيان بقوله: «وقد يتمم النعت الفائدة الأساسية بالاشتراك مع الخبر مع أن الأصل في الخبر أن يتمِّم هذه الفائدة وحده لكنه في بعض الأحيان لا يتممها إلا بمساعدة لفظ آخر كالنعت؛ كما في قوله تعالى يخاطب المعارضين:

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[٣]، أي ظالمون...

وقول الشاعر:

ونحن أُناس نحب الحديث ونكره ما يوجب المأثما

---

(١) اللمع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، تحقيق فائز فارس طبعة دار الكتب الثقافية – الكويت. : ص٨٢.

(٢) المقتضب لأبي العباس المبرد، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، تحقيق الأستاذ/ عبد الخالق عضيمة. :٢/ ٣١١.

(٣) سورة الشعراء الآية :١٦٦.

إذ لا تتحقق الفائدة بأن يُقال: نحن أناس...؛ لأن هذا معلوم بداهة من القرائن العامة المُحيطة بالمتكلم»[١].

وإذا انتقلنا إلى سورة (ق) وجدنا أن النعت أدى هذا الدور في مواضع كثيرة بلغت سبعةً وعشرين موضعاً، قام فيها النعت بتتميم المعنى المراد للجملة بمشاركة الخبر وغيره على النحو الآتي:

أولا: تتميم الفائدة المرادة بمشاركة الخبر وما أشبهه:

قد يكون الخبر قاصراً على تقديم فائدة الجملة المرادة وذلك إذا كان معروفا من لفظ المبتدأ، فيكونان معا في حاجة إلى ما يتمِّم المعنى المقصود من الجملة، وهنا يستعين النظام اللغوي بوسيلة أخرى كالنعت لإتمام المعنى المقصود من الجملة.

ففي قوله[٢]: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، ومن ذلك أيضا قوله تعالى[٣]: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

فلا يمكن أن يصح المعنى المراد هنا بغير النعت وما يتصل به كما ذكر الأستاذ عباس حسن[٤].

ومما يدلنا – أيضا – على أن النعت هو أشد التوابع ارتباطا وأقواها تلازما مع متبوعه، أن النحاة يقدمونه على غيره من التوابع، إذا اجتمع عدد منها، فعندئذ يجب

(١) النحو الوافي :٣/ ٤٤٠، وانظر هامش الجزء الأول ٤٤٣، ٤٤٤.
(٢) سورة النمل من الآية :٥٥.
(٣) سورة الماعون الآيات : ٤، – ٧.
(٤) النحو الوافي ٣/ ٤٤٠.

مراعاة الوجه الأفضل في ترتيبها، وذلك بتقديم النعت، يليه عطف البيان، فالتوكيد، فالبدل، فعطف النسق وذلك كما ورد في هذا النظم:

قدم النعت فالبيان فأكد ثم أبدل واختم بعطف الحروف(١)

ويفسر لنا السيوطي الأفضلية في الترتيب بين التوابع بقوله: «وإذا اجتمعت – يقصد التوابع- رُتبت كذلك، بأن يقدم النعت؛ لأنه كجزء من متبوعه، ثم البيان، لأنه جارٍ مجراه، ثم التأكيد؛ لأنه شبيه بالبيان في جريانه مجرى النعت، ثم البدل؛ لأنه كلا تابع؛ لكونه مستقلا، ثم النسق، لأنه تابع بواسطة»(٢).

ومن هنا فالعلاقة بين النعت ومنعوته تمثل نموذجا واضحا يدلنا على قوة العلاقة بين التوابع ومتبوعاتها؛ لأن المعنى المقصود في كثير من الأحيان – يفرضها.

والذي يدقق في تراكيب النص القرآني فإنه يلاحظ دور النعت في تماسك النص من خلال تلك العلاقة القوية التي تربط بين النعت ومنعوته، فإنهما متلازمان في إطار سياقهما التركيبي، بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر، إلا إذا اقتضى المعنى ذلك، ومن الشواهد القرآنية الدالة على ذلك

قوله تعالى(٣): ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾

وقوله تعالى(٤): ﴿وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ﴾

وقوله تعالى(٥): ﴿وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾

---

(١) السابق:٣/ ٤٣٥.

(٢) همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية لجلال الدين السيوطي، بتصحيح السيد محمد بدر الدين. مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٣٢٧ هـ. :٣/ ١٤١.

(٣) سورة البقرة من الآية: ٢٤٥

(٤) سورة آل عمران من الآية : ١٤.

(٥) سورة النساء من الآية : ٧٨.

وقوله تعالى[١]: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾

وقوله تعالى[٢]: ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾

وقوله تعالى[٣]: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾

وقوله تعالى[٤]: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

في هذه الآيات الكريمة تحقق التماسك النصي من خلال التماسك المعنوي بين النعت ومنعوته، فالنعوت (كثيرة، المقنطرة، مشيدة، كثيرة، الحسنى، أزواج) فهي على الترتيب نعوت لـ (أضعافا، القناطير، بروج، مواطن، الأسماء، مطهرة).

فعلى سبيل المثال قوله تعالى- السابق-: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، قد جاء النعت (مطهرة) ملازما للمنعوت (أزواج)؛ ليكمل دلالته، ويتمم معناه، وهذا النعت يسميه النحاة نعتا حقيقيا، وقد عرفه النحاة بأنه: «تابع مكمل لمتبوعه لدلالته على معنى فيه»[٥]، وقد حقق النعت هنا تماسكا نصيا من خلال التماسك المعنوي بينه وبين منعوته، فـ «مُطَهَّرَةٌ»: صِفَةٌ لِلْأَزْوَاجِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى طَهُرَتْ كَالْوَاحِدَةِ الْمُؤَنَّثَةِ. يقول أبوحيان[٦]: «وَمَجِيءُ هَذِهِ الصِّفَةِ مَبْنِيَّةٌ لِلْمَفْعُولِ، وَلَمْ تَأْتِ طاهِرَةً أَوْ طاهِرَاتٍ، أَفْخَمُ لِأَنَّهُ أفهم أن لها مطهرا وَلَيْسَ إِلَّا اللهُ تَعَالَى. أَيْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَهَّرَهُنَّ فَتَطَهَّرْنَ. وَهَذِهِ الْأَزْوَاجُ الَّتِي وصفها الله بالتطهير إن كُنَّ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ. فَمَعْنَى التَّطْهِيرِ: خَلَقَهُنَّ عَلَى الطَّهَارَةِ لَمْ يَعْلُقْ

(١) سورة التوبة من الآية: ٢٥.
(٢) سورة يوسف من الآية: ٦٧.
(٣) سورة الأعراف من الآية : ١٨٠.
(٤) سورة البقرة من الآية : ٢٥.
(٥) همع الهوامع : ٣/ ١٤٥.
(٦) البحر المحيط ١/ ١٩٠.

بِهِنَّ دَنَسٌ ذَاتِيٌّ وَلَا خَارِجِيٌّ وَإِنْ كُنَّ مِنْ بَنِي آدَمَ، كَمَا رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ: عَنْ عجائزكم الرمص العمص يَصِرْنَ شَوَابَّ، فَقِيلَ: مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ الذَّاتِيَّةِ وَغَيْرِ الذَّاتِيَّةِ، وَقِيلَ: مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ وَالطَّبَائِعِ الرَّدِيئَةِ، كَالْغَضَبِ وَالْحِدَّةِ وَالْحِقْدِ وَالْكَيْدِ المكر، وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ، وَقِيلَ: مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْخَنَا وَالتَّطَلُّعِ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَقِيلَ: مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْأَدْنَاسِ الذَّاتِيَّةِ، مِثْلَ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَالْجَنَابَةِ وَالْبَوْلِ وَالتَّغَوُّطِ وغير ذلك من المقاذير الْحَادِثَةِ عَنِ الْأَعْرَاضِ الْمُنْقَلِبَةِ إِلَى فَسَادٍ: كَالْبَخْرِ وَالذَّفَرِ وَالصُّنَانِ وَالْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ، أَوْ إِلَى غَيْرِ فَسَادٍ: كَالدَّمْعِ وَالْعَرَقِ وَالْبُصَاقِ وَالنُّخَامَةِ.

وَقِيلَ: مُطَهَّرَةٌ مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ، لَا طَمُحَاتٍ وَلَا مُرْجِاتٍ وَلَا يَغِرْنَ وَلَا يَعُزْنَ. وَقَالَ النَّخَعِيُّ: الْوَلَدُ. وَقَالَ يَمَانٌ: مِنَ الْإِثْمِ وَالْأَذَى، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لَا يَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: مُطَهَّرَةٌ لَكِنَّ ظَاهِرَ اللَّفْظِ يَقْتَضِي أَنَّهُنَّ مُطَهَّرَاتٌ مِنْ كُلِّ مَا يَشِينُ، لِأَنَّ مَنْ طَهَّرَهُ اللهُ تَعَالَى وَوَصَفَهُ بِالتَّطْهِيرِ كَانَ فِي غَايَةِ النَّظَافَةِ وَالْوَضَاءَةِ».

فكل هذه المعاني السابقة من تعليق أبي حيان متضمنة في النعت (مطهرة).

ومن ورود ذلك في سورة (ق) قوله تعالى[١]: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ فقد تم معنى الخبر (شيء) بالنعت (عجيب)، فلو قال الله تعالى: «فقال الكافرون هذا شيء» وسكت لما أفاد شيئًا.

وقوله تعالى[٢]: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾، فـ (بعيد) نعت لـ (رجع)، يدل على أن هذا الرجع مستبعد في الأوهام والفكر. قال ابن جني[٣] :«وقد يكون من كلام الله

(١) سورة ق من الآية :٢.

(٢) سورة ق من الآية :٣

(٣) البحر المحيط: تفسير سورة ق.

تعالى اسبتعادا لإنكارهم ما أُنذروا به من البعث».

وقوله تعالى[١]: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٖ مَّرِيجٖ﴾ فإن التركيب "فهم في أمر"، لا يؤدي المعنى المقصود بدون النعت "مريج" فلا تتحقق الفائدة المرادة للجملة دون انضمام النعت إلى الجملة، وقد أفاد النعت في هذا السياق الاضطراب والاختلاط في كلام الكافرين، فقد اختلط الامر عليهم والتبس: مرة ساحر، ومرة شاعر، ومرة كاهن، ولولا النعت لما تحققت هذه الفائدة التي أراد الله أن يظهر عليها أمر الكافرين من اللبس واختلاط الأمر عليهم من القلق باعتبار انتقال أفكارهم فيما جاء به المنذر إلى عدم قبولهم أول إنذاره إياهم، ثم العجب منهم، ثم استبعاد البعث الذي أنذر به، ثم التكذيب لما جاء به.

وقوله تعالى[٢]: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾.

وقوله تعالى[٣]: ﴿مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾.

وقوله تعالى[٤]: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾.

وقوله تعالى[٥]: ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾.

وقوله تعالى[٦]: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ﴾.

وقوله تعالى[٧]: ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ﴾.

---

(١) سورة ق من الآية :٥

(٢) سورة ق الآية : ٨.

(٣) سورة ق من الآية :٩.

(٤) سورة ق الآية :١٠.

(٥) سورة ق من الآية :١١.

(٦) سورة ق الآية :٢٤.

(٧) سورة ق الآية :٢٥.

وقوله تعالى[١]: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾.

وقوله تعالى[٢]: ﴿ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

وقوله تعالى[٣]: ﴿ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾.

وقوله تعالى[٤]: ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾.

وقوله تعالى[٥]: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾.

وقوله تعالى[٦]: ﴿ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾.

وهكذا تدل الشواهد القرآنية المذكورة على أن ثمة علاقة تلازمية وثيقة تربط بين النعت والمنعوت؛ وذلك لأن النعت متمم لمتبوعه؛ لدلالته على معنى فيه أو فيما يتعلق به، ويؤكد تلك العلاقة ما اشترطه النحاة من ضوابط التطابق بينهما من حيث النوع: (تذكيرا وتأنيثا)، والعدد:

(إفرادا وتثنية وجمعا)، والتعريف والتنكير، والإعراب: (رفعا ونصبا وجرا).

فلا ريب أن تلك المطابقة بين النعت والمنعوت تقوي الصلة بينهما، حيث إن تلك المطابقة هي نفسها قرينة على ما بينهما من ارتباط وتماسك في المعنى، وتكون قرينة لفظية تتضافر مع التلازم والتماسك بينهما.

---

(١) سورة ق الآية :٢٦.

(٢) سورة ق من الآية :٢٧.

(٣) سورة ق الآية :٣٢.

(٤) سورة ق الآية :٣٣.

(٥) سورة ق الآية :٤١.

(٦) سورة ق من الآية :٤٤.

هذا بالإضافة إلى أنها تأتي لتتميم الفائدة المرادة من الجملة بالاشتراك مع الخبر[١]، ومن ثَمَّ فهذه البنية النحوية من أهم البنيات الدلالية التي استعملها النص القرآني في سورة (ق) للتعبير عن المعنى بدقة، فتحققُ وضوحَ المرادِ، وتسهم في نجاح عملية التواصل اللغوي، وتحقق هذه العلاقة النحوية التماسك النصي في السورة من عدة جوانب:

١- «تعدد بنية الوصف النحوية ومعاقبة الجملة للمفرد، وتداخلها، فتسهم في تناسق الجملة حتى تتشكل بنية النص»[٢].

٢- أداء هذه البنية لما سبق من علاقات دلالية (التوضيح، التخصيص، والتأكيد)، وهي علاقات مهمة تحقق التماسك الدلالي.

٣- يمثل النعت نوعا من الرجوع إلى الوراء «فهي تعيد المتلقي إلى بنية الموصوف ولاسيما إذا تعددت الصفات، فطالت المسافة النصية بين النعت والمنعوت، كما تنقل المتلقي إلى الأمام من الصفة إلى الموصوف، وخاصة إذا كان الموصوف نكرة، حيث إنه بتنكيره وما يتصل بالنكرة من عموم، يحدث شيئا من الإبهام يدفع المتلقي إلى الانتقال سريعا إلى العنصر التالي (الصفة) لتخصيص هذه النكرة، ومعرفة المقصود الذي يسعى إله المتلقي بقراءته، ويهدف إليه المتكلم بكلامه»[٣].

وبنظرة سريعة إلى التركيب النعتي في الآيات السابقة نجد أن الموصوف نكرة ففي قوله تعالى[٤]: ﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾.

---

(١) شرح الرضي على الكافية :١/ ٣٣١.

(٢) العلاقات النحوية ماجستير بدار العلوم – جامعة القاهرة. ص١٤٥.

(٣) السابق ١٤٦.

(٤) سورة ق الآية : ٨.

جاء الموصوف (عَبْدٍ) نكرة فأحدث شيئا من الإبهام مما يدفع المتلقي إلى الانتقال سريعا إلى العنصر التالي الصفة (مُّنِيبٍ) لتخصيص هذه النكرة، ومعرفة المقصود الذي يسعى إليه المتلقي بقراءته، ويهدف إليه المتكلم بكلامه وقس على ذلك باقي التراكيب السابقة.

ولعل ذلك أحد أهم الأسباب التي أدت إلى كثرة النعت في القرآن الكريم بصفة عامة، وفي سورة (ق) بصفة خاصة، فإن كثرة النعت تؤدي إلى إثارة انتباه المتلقي بما يلقى عليه من عموم النكرة، ثم يحدد ويخصص هذا التنكير من خلال الصفات.

هذا، وقد أسهمت هذه العلاقة في تماسك آيات سورة (ق) وتشكيل دلالتها بصورة واضحة ولعل نظرة سريعة لما ذكرته من الآيات السابقة يوضح ذلك، فمثلا في قوله تعالى وقوله تعالى[١]: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾.

نجد أن النعت يطابق منعوته في الإعراب (رفعا)، وفي النوع (تذكيراً)، وفي العدد (إفرادا)، وفي التنكير.

وفي قوله تعالى أيضا وقوله تعالى[٢]: ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ ﴾.

نجد أن النعت (ميتاً) يطابق منعوته (بلدةً) في الإعراب (نصبا)، وفي العدد (إفرادا)، وفي التنكير كذلك؛ لكنه يخالفه في النوع حيث جاء النعت (ميتا) مذكرا مع أن المنعوت (بلدة) مؤنث فقد وصف (البلدة) وهي مؤنثة تأنيثًا مجازيًا بصفة المذكر (ميتًا) وهذا من باب الحمل على المعنى؛ فقد حمل (البلدة) على معنى

---

(١) سورة ق الآية: ١٠.

(٢) سورة ق من الآية: ١١.

(البلد) بدليل قوله تعالى في موضع آخر من سورة فاطر[١]: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ ولا تعد هذه المخالفة في النوع من باب الخروج عن أصل المطابقة بين النعت ومنعوته فهي من باب الحمل على المعنى الذي يعد وسيلة منهجية ارتكز عليها النحاة واللغويون في تفسير كثير من التراكيب المشكلة التي يبدو من ظاهرها أن فيه مخالفة عن السلوك اللغوي للقواعد الموضوعة" وقد اصطنع النحاة هذه الوسيلة لما رأوه من عدم جريان التراكيب اللغوية التي تتسم بالمرونة والاتساع في دلالة الكلمات الكامنة وراء القول المنطوق مع القواعد المنطقية للأشياء المتسمة بالجمود، ومن ثم فلم يكن بد من القول بالحمل على المعنى؛ ليمكنهم تفسير بعض التراكيب المشكلة، وأن ذلك أولى من القول بأن اللغة في هذا التركيب أو ذاك قد خرقت قوانينها الخاصة بها معتمدة على فهم المعنى وأمن اللبس.

وكذلك في قوله تعالى[٢]: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾.

نجد أن النعت يطابق منعوته في الإعراب (جراً)، وفي النوع (تذكيراً)، وفي العدد (جمعا)، وفي التنكير.

مما سبق يتضح لنا توافر التراكيب النعتية التي حققت التماسك النصي في السورة بالربط بين المفردات، وبين الجمل، والآيات، ويمكن بيان أثرها من خلال تحليل بعض الآيات.

وعلى هذا فالنعت من أهم الوسائل اللغوية التي تحقق التماسك في النص بِعدّه واحدا من التوابع «التي تمثل مرحلة من المراحل النصية التي تستعرض وسائل

(١) سورة فاطر من الآية :٩.
(٢) سورة ق الآية : ٨.

التماسك النصي في الارتباط بين النعت والمنعوت وأثرها في التحليل النصي»[١].

ثانيا: المطابقة بين النعت والمنعوت:

يقدم النظام اللغوي وسائل كثيرة لترابط النعت بالمنعوت وتمييزه عن غيره من أنواع التوابع الأخرى[٢]، ومن هذه الوسائل المطابقة بين النعت والمنعوت في الإعراب والنوع والعدد والتبعية وقد قرر الزمخشري في مفصله هذا الأصل بين الصفة والموصوف بل قاس عليه أنواع التطابق الأخرى بين النعت ومنعوته، يقول: «وكما كانت الصفة وفق الموصوف في إعرابه، فهي وفقه في الإفراد والجمع، والتعريف والتنكير[٣].

وذكر هذا القول ابن يعيش في شرحه للمفصل بقوله: «الصفة تابعة للموصوف في أحواله، وجملتها عشرة أشياء: رفعه ونصبه، وخفضه، وإفراده وتثنيته وجمعه، وتنكيره وتعريفه، وتذكيره وتأنيثه، إن كان الاسم الأول الموصوف مرفوعًا فنعته مرفوع، وإن كان منصوبًا فنعته منصوب، وإن كان مخفوضًا فنعته مخفوض، وكذلك سائر الأحوال... وإنما وجب للنعت أن يكون تابعًا للمنعوت فيما ذكرنا من قبل أن النعت والمنعوت كالشيء الواحد، فصار ما يلحق الاسم يلحقه النعت[٤].وعلى هذا يمثل النعت امتدادًا نصيًّا للمنعوت، فيظهر أثر المنعوت في النعت.

يدل هذا كله على قوة التماسك بين النعت والمنعوت فهما كالاسم الواحد كما أشار سيبويه وإنما يجيء النعت لتتميم النعوت وتكميلها؛ ذلك أنه دالٌ على

---

(١) علم اللغة النصي ١/ ١٠٠.

(٢) بناء الجملة العربية د/ محمد حماسة عبد اللطيف:ص١٧٩.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٢٤.

(٤) السابق:٣/ ٥٤/ ٥٥.

معنى في المنعوت، أو في متعلَّقه على حد تعبير ابن مالك في ألفيته بقوله[١]:

النعت تابع مُتم ما سبق بوسمه أو وسم ما به اعتلق

وعلى حد قوله في موضع آخر: «النعت مُكمل للمنعوت، ومجعول معه كشيءٍ واحد»[٢].

وحينما يكون النعت جملة، فقد اشترط النحويون وجود ضمير في هذه الجملة يربطها بالمنعوت، «وهذا الضمير هو وسيلة أخرى من وسائل التماسك النصي»[٣].

يقول ابن عقيل في شرحه على الألفيَّة تعليقًا على قول ابن مالك:

ونعتوا بجملةٍ منكّرًا فأعطيت ما أعطيته خبرًا

وأشار بقوله: «فأعطيت ما أعطيته خبرًا» إلا أنه لابد للجملة الواقعة صفة من ضمير يربطها بالموصوف، وقد يحذف للدلالة عليه[٤].

وفي نص دال يذكر الرضي علة اشتراط الضمير في الجملة الواقعة نعتا للنكرة فيقول تعليقا على قول ابن الحاجب: «وتوصف النكرة بالجملة الخبرية، ويلزم الضمير».

ففي قوله: «ويلزم الضمير» إنما اشترط الضمير في الصفة والصلة ليحصل به

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني الناشر : دار الفكر – دمشق الطبعة الثانية، ١٩٨٥، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد:٣ / ١٩١.

(٢) شرح التسهيل ٣/ ٣١٠.

(٣) علم اللغة النصي:١/ ٢٤٣.

(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ان مالك:. تحقيق الدكتور / حنا الفاخوري. دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.:٢/ ١٥٦.

ربط بين الموصوف وصفته، والموصول وصلته، فيحصل بذلك الربط اتصاف الموصوف والموصول بمضمون الصفة والصلة، فيحصل لهما بهذا الاتصاف تخصص أو تعرف، فلو قلت: مررت برجل قام عمرو، لم يكن الرجل متصفا بقيام عمرو بوجه، فلا يتخصص به، فإذا قلت: قام عمرو في دارة، صار الرجل متصفا بقيام عمرو في داره، وقد يحذف الضمير، كما مر في خبر المبتدأ...»[١].

هذا النص يبزر أثر النعت في تحقيق التماسك النصي من خلال اشتراط الضمير الذي يربط بين الصفة والموصوف.

ولا شك أن المطابقة بين النعت ومنعوته تقوي الصلة بينهما، حيث تكون هي نفسها قرينة على ما بينهما من ارتباط في المعنى، وتكون لفظية تتضافر للترابط بينهما.

وقد اتضحت صور هذه المطابقة من خلال تلك الشواهد القرآنية سالفة الذكر، فمثلا في قوله تعالى[٢]: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾

نجد أن النعت يطابق منعوته في الإعراب (رفعا)، وفي النوع (تأنيثا)، وفي (العدد) جمعًا، وفي التعريف.

وفي قوله تعالى أيضا[٣]: ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾، نلاحظ أن النعت طابق

---

(١) شرح الرضي على الكافية:٢/ ٣٠١، وكذلك شرح التسهيل لابن مالك لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون طبعة هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م). : ٣/ ٣١٠.

(٢) سورة الأعراف من الآية : ١٨٠.

(٣) سورة نوح الآية:٢٠.

منعوته في الإعراب (نصبا)، وفي النوع (تأنيثا)، وفي العدد (جمعا)، وفي التذكير.

وفي قوله تعالى[١]: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾.

نجد أن النعت طابق منعوته في الإعراب (جرا)، وفي النوع (تأنيثا)، وفي العدد (إفرادا)، حيث يعامل جمع التكسير معاملة المفرد المؤنث، ويطابقه في التعريف كذلك.

ولقد توفَّرت التراكيب النعتية محققة التماسك النصي في سورة (ق)، وقد لوحظ أن النعت يقوم بالربط بين المفردات، وبين الآيات في السورة الكريمة، ويمكن بيان أثره في تحقيق التماسك النصي من خلال التحليل النصي لبعض آيات سورة (ق).

باديء ذي بدء نقرر أنه من خلال تتبعنا للنعت في سورة (ق) وجدنا أن الآيات اشتملت على سبع وعشرين نعتًا وعدد آياتها لا يتجاوز خمسًا وأربعين آية، أي أن عدد ما ورد في السورة من آيات مشتملة على نعوت يكاد يتجاوز نصف آيات السورة كاملة، هذه النعوت بما توافر فيها من علاقة التبعية بين المنعوت والنعت أسهمت في تحقيق التماسك النصي بين الآيات الكريمة، ففي قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾، جاء الوصف بالصفة المشبهة (مريج)، فوصف الله أمر الكافرين بالأمر المريج أي: المختلط، الذي يموج بعضه في بعض، والأمر المريج الذي فيه هؤلاء الكافرون، هو اضطراب مقولاتهم في الرسول الكريم، وفي القرآن المجيد شأنهم في هذا شأن من يركب متاهات الطرق وطوامسها، فلا يدري في أي اتجاه يتجه... فإنه يتجه تارةً يمينًا وتارةً شمالًا، ومرةً وراءاً ومرةً خلفًا، إنه لا يأخذ في أي اتجاه حتى تساوره الشكوك

(١) سورة طه الآية:٥١.

والظنون، فيعدل عنه إلى غيره، الذي يحسب أنه الطريق القاصد، ثم لا يلبث أن يتهم نفسه في ما حسب فيعدل وهكذا... هذا شأن الإنسان وحده مع نفسه وقد عبرت الصفة المشبهة، مريج على وزن فعيل من الثلاثي (مرج) أبلغ تعبيرٍ عن مدى هذا الاضطراب والاختلاط الذي فيه هؤلاء من أمرهم ومن باب الإسناد المجازي بين النعت والمنعوت قوله تعالى[١]: ﴿قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾.

وصف الله تعالى (القرآن) بذلك؛ لأنه كلامه المجيد، فهو وصف يصفه قائله تعالى فالإسناد فيه إسناد مجازي.

ثالثا: إطالة بناء الجملة بالنعت:

كما أشرنا سابقا فإن النعت يعد بمثابة تقييد للمطلق (المنعوت)، أو تحديده، أو تخصيصه، أو توضيحه ومن خلال تلك الدلالات التي لا يُستغنى عنها في الكلام يظهر إطالة بناء الجملة سواء أكان النعت بالمفرد، أو بشبهه، أم كان بالجملة، أو شبهها، وعند حذف ما تطول به الجملة يكون في الكلام ما يدل عليه بعد حذفه «فالنعت والمنعوت كالشيء الواحد، فالمنعوت لا يتضح أحيانا إلا بالنعت حيث يكون النعت عنصرا أساسا في الجملة لاشتراكه مع الخبر، ومساواته له في إتمام الفائدة الأصلية للجملة[٢]، دليل ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾[٣]، فالخبر وهو كلمة (قوم) لم يكن كافيا في إتمام المعنى منفردا عن الصفة، بل كان في حاجة إلى هذه الصفة لإتمام المعنى والفائدة... فيكون النعت هو العنصر الأساس في الجملة، وبه يكتمل المعنى وتتم الفائدة الأصلية للجملة...،

---

(١) سورة ق الآية:١.

(٢) التوابع في الجملة العربية :ص٩.

(٣) الشعراء من الآية : ١٦٦

وبذلك يكون النعت عمدة وليس فضلةً»[١].

فالتركيب – كما نفهم من الآية السابقة – لم يزد عن عن المبتدأ (قوم)، والخبر (عادون) فـ «تركيبه في الجملة أحدث من عدمه؛ حيث كان التركيب اللغوي بسيطا، وكان الخبر وافيا في إتمام المعنى»[٢].

يفهم من ذلك أن النعت لا يكون فضلة وأنه يطيل بناء الجملة، ويشترك مع الخبر في إفادة المعنى.

نفس المعنى أكد عليه أستاذنا الدكتور/ محمد حماسة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله[٣]: «ومن هنا يختلف معنى هاتين الجملتين: محمد حاضر، محمد العاقل حاضر؛ لأن التابع والمتبوع معا يكونان ما يمكن أن يسمى مركبا اسميا يكون المتبوع فيه هو رأس هذا المركب الاسمي الذي يترابط بعلاقاته الخاصة به في جملة من فاعلية، أو مفعولية،، وخبرية...».

يقول أحد الباحثين[٤]: «وقد يكون طول الجملة بالنعت إذا كان الثاني يكمل متبوعه بدلالة على معنى فيه...».

مما سبق يتضح لنا أن النعت كان له أثرٌ كبيرٌ في إطالة بناء الجملة، «لكن بعض النعوت يكون أثرها في إطالة بناء الجملة أوضح وأظهر فمثلا إذا كان النعت ب (ذو) بمعنى صاحب؛ فإنها تحتاج مضافا إليه، وكذلك إذا كان النعت بالاسم الموصول؛

---

(١) التوابع أصولها وأحكامها للدكتور/ فوزي مسعود الطبعة الأولى ١٩٨٤م : ص٩٢.

(٢) السابق : ٩٣.

(٣) التوابع في الجملة العربية: ص٨.

(٤) التوابع في لغة القرآن د / السيد محمود جامع دكتوراه بكلية دار العلوم بالقاهرة، ١٩٨٣ م. برقم ٤٠٦٢ بمكتبة الكلية. : ٥ص.

فإنه يحتاج إلى جملة الصلة بعده كي يتعرف بها، وهذه الجملة قد تكون اسمية، أو فعلية، ويشترط اشتمالها على ضمير مطابق للموصول؛ فلا يصلح أن يقال: جاء محمد الذي... ثم يسكت، فلابد من الصلة بعد الموصول... ويتضح أثر النعت بصورة أكثر وضوحا في إطالة الجملة عند النعت بالجملة الاسمية والفعلية، ويتضح طول الجملة أكثر عند النعت بالجملة الشرطية التي تستدعي: أداة شرط، وفعل شرط، وجواب شرط فتطول الجملة بهذا التركيب الشرطي الواقع نعتا»[١].

كل تلك الشروط التي اشترطها النحاة في النعت تطيل بناء الجملة الأصلي، فلا ينظر إلى النعت على أنه كلمة مفردة، بل ينظر إليه على أنه تركيب يعطي فائدة ومعنى أيا كان طول هذا النعت، وأيا كان تركيبه ونوعه.

ففي قوله تعالى[٢]: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾،

وقوله تعالى[٣]: ﴿ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ ﴾.

وقوله تعالى[٤]: ﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴾.

وقوله تعالى[٥]: ﴿ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴾.

فلا تتصور الفائدة التامة، أو اكتمال الدلالة لتلك التراكيب لو استبعدنا النعوت (نضيد)، (ميتا)، (عنيد)، (مناع)، (معتد)، (مريب)، لذا يستحسن اعتبار مثل هذه النعوت مكملات مفيدة، ولا نعدها من الفضلات.

---

(١) التوابع في الصحيحين دكتوراه بدار العلوم.

(٢) سورة ق الآية: ١٠.

(٣) سورة ق من الآية: ١١.

(٤) سورة ق الآية: ٢٤.

(٥) سورة ق الآية: ٢٥.

❁ النعت بالجملة الاسمية:

ينعت بالجملة على أن يكون منعوتها نكرة محضة[١].يقول الرضي[٢]: «فإن قيل: فإذا لم تكن الجملة لا معرفة ولا نكرة، فلم جاز نعت النكرة بها دون المعرفة؟

قلت: لمناسبتها للنكرة، من حيث يصح تأويلها بالنكرة، كما تقول في: قام رجل ذهب أبوه، أو: أبوه ذاهب: قام رجل ذاهب أبوه، وكذا تقول في: مررت برجل أبوه زيد، إنه بمعنى: كائن أبوه زيدا، وكل جملة يصح وقوع المفرد مقامها، فلتلك الجملة موضع من الإعراب، كخبر المبتدأ، والحال، والصفة، والمضاف إليه، ولا نقول إن الأصل في هذه المواضع هو المفرد، كما يقول بعضهم، وإن الجملة إنما كان لها محل لكونها فرع المفرد؛ لأن ذلك دعوى بلا برهان، بل يكفي في كون الجملة ذات محل: وقوعها موقعا يصح وقوع المفرد هناك، كما في المواضع المذكورة، وقال بعضهم: الجملة نكرة؛ لأنها حكم، والأحكام نكرات، إشارة إلى أن الحكم بشيء على شيء، يجب أن يكون مجهولا عند المخاطب إذ لو كان معلوما، لوقع الكلام لغوا، نحو: السماء فوقنا، والأرض تحتنا، وليس بشيء؛ لأن معنى التنكير، ليس كون الشيء مجهولا، بل معناه في اصطلاحهم: ما ذكرت الآن، أعني كون الذات غير مشار بها إلى خارج إشارة وضعية، ولو سلمنا أيضا، أن كون الشيء مجهولا، وكونه نكرة بمعنى واحد، قلنا: إن ذلك المجهول المنكر، ليس نفس الخبر، والصفة، حتى يجب كونهما نكرتين، بل: المجهول انتساب ما تضمنه الخبر والصفة مضافا إلى المحكوم عليه، كعلم زيد، في: جاءني زيدٌ العالم، و(زيد هو العالم)».

---

(١) النكرة المحضة هي التي تخلو من (أل الجنسية) ومن كل شيء آخر يخصص ويقلل الشيوع؛ كالإضافة، والنعت وسائر القيود التي تفيد التخصيص. أما النكرة غير المحضة فهي التي لم تتخلص مما سبق؛ بأن يكون المنعوت مشتملاً على "أل الجنسية" التي تجعل لفظه معرفة، ومعناه نكرة.

(٢) شرح الكافية للرضى (٢/ ٢٩٨، ٢٩٩).

فيتحقق بوصفها للنكرة شرط التطابق بين النعت والمنعوت في التعريف والتنكير؛ ومن ثَم لم يجز نعت المعرفة بالجملة، أو كون الجملة نعتاً للمعرفة لما يترتب عليه من فقدان ذلك الشرط.

ولكن اللغة لم تقف عند ذلك الحد؛ فأشار النحاة إلى أن اسم الموصول موضوع في اللغة ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل(١)، قال ابن جني(٢): «لما أرادوا ان يصفوا المعرفة بالجملة كما وصفوا بها النكرة، ولم يجز لن يجروها عليها لكونها نكرة، أصلحوا اللفظ بإدخال (الذي) لتباشر بلفظ حرف التعريف والمعرفة فقالوا: مررت بزيد الذي قام أخوه، ونحوه...».

ويكون الموصول حينئذٍ هو الصفة في اللفظ، أما جملة الصلة فهي الصفة في المعنى؛ لأنها الغرض الأساس، واسم الموصول مجرد وصلة للنعت بها، كما دل على ذلك قول ابن يعيش(٣):

«فجاؤوا حينئذ بـ "الذِي" متوصِّلين بها إلى وصف المعارف بالجمل، فجعلوا الجملة التي كانت صفة للنكرة صفة لـ "الذي"، وهو الصفة في اللفظ، والغرضُ الجملة، كما جاؤوا بـ "أيٍّ" متوصلين بها إلى نداءِ ما فيه الألف واللام، فقالوا: "يا أيُّها الرجلُ"، والمقصود نداءُ الرجل، و"أيٌّ" وصلةٌ، وكما جاؤوا بـ "ذِي" التي بمعنَى "صاحب"، متوصّلين إلى وصف الأسماء بالأجناس، إلَّا أن لفَظَ "الذي" قبل دخولِ الألف وَاللام، لم يكن على لفظِ أوصافِ المعارف، فزادوا في أوّلها الألفَ واللام،

(١) شرح المفصل ٣/ ١٤١، والأشباه والنظائر ١/ ١٦٢-١٦٣.

(٢) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة: ١/ ٣٢٢.

(٣) شرح المفصل ٣/ ١٤١.

ليحصُل لهم بذلك لفظُ المعرفة الذي قصدوه، فيتطابقَ اللفظُ والمعنى...».

لذا يرى بعض الباحثين أن جملة الصلة هي في الحقيقة جملة نعت، خصصتها العربية لنعت المعرفة، كما خصصت جمل النعت الأخرى لنعت النكرة، يدل على ذلك اتفاق جملة الصلة في كثير من أحكامها مع جملة النعت(١).

واشترط النحاة للنعت بالجملة ما يلي:

١_ أن تكون الجملة خبرية؛ لأن النعت يفيد تخصيص منعوته، فلابد أن يكون معلومًا للسامع من قبل، وهذا غير متحقق في غير الخبري؛ إذ لا وجود له في الخارج الواقعي قبل النطق فلا يُتصوَّر إفادته التخصيص(٢).

لذا يقول الرضي(٣): «وإنما وجب في الجملة التي هي صفة، أو صلة كونها خبرية؛ لأنك إنما نجيء بالصفة والصلة لتعرِّف المخاطبَ بالموصوف والموصول المبهمين بما كان المخاطب يعرفه قبل ذكرك الموصوف والموصول، من اتصافها بمضمون الصفة والصلة إلا أن تكون الصفة والصلة جملتين متضمنتين للحكم المعلوم عند المخاطب حصوله قبل ذكر تلك الجملة، وهذه هي الخبرية؛ لأن غير الخبرية إما إنشائية، نحو: "بعت"، و"طلقت"، و"أنت حر"، ونحوها، وإما طلبية كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والعرض، ولا يعرف المخاطب أصول مضمونها إلا بعد ذكرها».

وفي هذا تنبيه إلى أداء الوظيفة الدلالية للموقع النحوي المعين، الذي يرتبط

---

(١) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ص١٩٨، ١٩٩.

(٢) التوابع بين القاعدة والحكمة٦٥.

(٣) شرح الكافية للرضي ٢/ ٣٢٤.

بصيغة الكلمات، أو العنصر اللغوي الذي يشغل هذا الموقع(١).

٢- أن تشتمل جملة النعت على رابط يربطها بالمنعوت؛ لأن النعت والمنعوت كالاسم الواحد(٢)، أو كالكلمة الواحدة، فإذا ما طال النعت بالجملة كأن من الازم ارتباطها بالمنعوت، في ذلك يقول الرضي: على «إنما اشترط الضمير في الصفة والصلة يحصل به ربط بين الموصوف وصفته، والموصول وصلته، فيحصل بذلك الربط اتصاف الموصوف والموصول بمضمون الصفة والصلة، فيحصل لهما بهذا الاتصاف تخصص أو تعرف، ولو قلت: "مررت برجل قام عمرو" لم يكن الرجل متصفاً بقيام عمرو بوجه، فلا يتخصص به، فإذا قلت: "قام عمرو في داره" صار الرجل متصفاً بقيام عمرو في داره»(٣).

وللضمير الذي يربط جملة النعت بالمنعوت دور في تحقق التماسك النصي هذا ما أكده علماء النص من خلال إحالته إلى عناصر سبق ذكرها في النص السابق، فضلا عن أن الغرض من الربط هو الاختصار وأمن اللبس بالتكرار وإعادة الذكر؛ ففي قولك: "هذا رجل قلبه رحيم".

"الهاء" هي الضمير الذي ربط بين نعت الجملة والمنعوت، والبنية المضمرة هنا هي: هذا رجل قلب الرجل رحيم. فوجود الضمير يشير إلى تعلق الجملة الثانية بصاحب الضمير، ولولا وجود الضمير لنشأ لبس في فهم الانفصال بين الجملتين، ولَأدَّى ذلك إلى لبسٍ آخر في فهم أن "الرجل" في الجملة الثانية غير "الرجل" في الجملة الأولى(٤). هذا ولم نحصل في سورة (ق) من نعت الجملة إلا على جملتين

(١) التوابع بين القاعدة والحكمة : ص٦٦.
(٢) الكتاب:١/ ٤٢١.
(٣) شرح الرضي على الكافية: ٢/ ٣٢٥.
(٤) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية للدكتور مصطفى حميدة :ص١٥٣.

نُعت فيها النكرة بالجملة الاسمية من ذلك قوله تعالى[١]: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾.

فالجملة الاسمية "معها سائق" صفة كل.

وقوله تعالى[٢]: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾.

فجملة (هم أشدُّ) في محل جر نعت لـ (قرن).

فالنعت فيما سبق من آيات كان له دور كبير في إطالة بناء الجملة، فعلى الرغم من كون النعت فضلة إلا أن المعنى يتطلب النعت بصورة لا يتم إلا بها، وقد أشار ابن الناظم إلى إن النعت إنما يجيء لتكميل المنعوت[٣] ومن ثَم فالنعت بأنواعه: المفرد، والجملة، وشبه الجملة له دور هام في سبك النص.فالنعت المفرد يقوم بالسبك عن طريق ارتباطه الشديد بالمنعوت، كما أنه للتعرف عل النعت لابد من الرجوع إلى المنعوت وذلك عن طريق الإحالة القبلية[٤].

وبذلك يقوم النعت بدور الترابط العضوي في التركيب؛ فهو وسيلة من وسائل التماسك النصي كما يقول المحدثون؛ حيث إنَّ النعوت تدعم الأسماء في توسيع معانيها، وتلونها، وتبرز تألقها وتنوعها إبرازًا رائعًا[٥] بالإضافة إلى أن وضع النعت في مكان هام ليس سوى طريقة أخرى لمنحه ثقلا وقيمة وإدخال النعت في تركيب

---

(١) سورة ق الآية :٢١.

(٢) سورة ق الآية :٣٦.

(٣) الكتاب١:/ ٤٢١.

(٤) علم اللغة النصي:١/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٥) التركيب النعتي في العربية :ص٦٦.

الجملة والاتساع فيها يحتاج دائمًا إلى الوصف الذي يعد النعت أحد أدواته، وهو كذلك صورة من صور التطور اللغوي؛ وذلك أن الإنسان يحتاج إلى الوصف الذي يعد النعت أحد أدواته، وكلما تقدم به العلم والفكر احتاج إلى استعماله.

وسورة (ق) إحدى سور القرآن التي اعتمدت على الوصف والاستطراد، فقد شغل النعت مكانًا بارزًا فيها من أول السورة إلى نهايتها فلا تكاد تخلو آية من آياتها من النعت فقد بلغ عدد الآيات التي اشتملت على النعت بأنواعه المختلفة سبعا وعشرين آية من مجمل آياتها البالغ خمسًا وأربعين آية.

❁ حذف المنعوت

ظاهرة حذف النعت من الظواهر اللغوية الأسلوبية المهمة التي تتصل بالتركيب النصي وتتولد هذه الظاهرة من خلال قرينة التضام، أو التلازم بين عنصرين لغويين، فـ "هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد بالإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق،

وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن وللحذف غاية كبرى فهو يعمل على إثارة انتباه المتلقي ويجدد نشاطه بحثًا عن المحذوف، فإذا ما وصل إليه بنفسه استقر المعنى في ذهنه»[(١)].

فالحذف كما نفهم من النص السابق ظاهرة لغوية أسلوبية، وقد اشترط النحاة لذلك دليلا على المحذوف، «فالحذف لا يجوز إلا بدليل من بنية معهودة، أو نمط معروف، أو قرينة قائمة، أو معنى في السياق لا يستقيم إلا مع تقدير المحذوف».

---

(١) دلائل الإعجاز الجرجاني: ١٤٦.

إذًا «فالحذف لا مفر من القول به، إذا أردنا أن نفهم الاستعمال اللغوي على وجهه الصحيح؛ لأن للحذف من المبررات أموراً لا مناص من الاعتداد بها»[١].

وقد أجاز نحاتنا-رحمهم الله- حذف المنعوت بشرط أن يكون معلومًا من السياق، أشار إلى ذلك الرضي في شرحه على الكافية بقوله: «اعلم أن الموصوف يحذف كثيراً، إن علم، ولم يوصف بظرف أو جملة، كقوله تعالى[٢]: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾.

فإن وصف بأحدهم جاز كثيراً أيضًا بالشرط المذكور بعدُ».

ويشترط الزركشي شرطين لحذف الموصوف:

أولهما: كون الصفة خاصة بالموصوف؛ حتى يحصل العلم بالموصوف؛ فمتى كانت امتنع حذف الموصوف.

الثاني: أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث هي، لتعلق عرض السياق، كقوله تعالى[٣]: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، وقوله في موضع آخر[٤]: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

«فَإِنَّ الِاعْتِمَادَ فِي سِيَاقِ الْقَوْلِ عَلَى مُجَرَّدِ الصِّفَةِ لِتَعَلُّقِ غَرَضِ الْقَوْلِ مِنَ الْمَدْحِ أَوِ الذم بها»[٥].

---

(١) البيان في روائع القرآن للدكتور / تمام حسان، طبعة عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.:ص٢٠٥.

(٢) سورة الصافات آية (٤٨).

(٣) سورة البقرة من الآية :٩٥.

(٤) سورة آل عمران آية :١١٥.

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: =

وقد عقد ابن جني لظاهرة الحذف بابًا في الخصائص سمَّاه (باب شجاعة العربية).

ولأستاذنا الدكتور/ أحمد كشك رأى في حذف المنعوت إذ إنه يرى أن «التنغيم قرينة مهمة من القرائن التي تعين على تحديد المنعوت المحذوف، ويدلل على ذلك بقول الشاعر:

ترمي بكفَّي كان من أرمى البشرْ

إذ يقول: «إن تَصَوُّرَنا النطقي له لايرى مهربًا من إحكام الضغط على جملة "كان من أرمى البشر" وهنا يكون التنغيم تعبيرًا عن الموصوف المحذوف الذي يساوي قوله: (هو بكفي رجل كان من أرمى البشر).

حقيقة أن هناك دلالات أخرى توحي بالمحذوف، لكن المحذوف لا يُقام أمره من خلال دلالة واحدة حيث تكتنفه وتحيط به وسائل كثيرة تميزه منها التنغيم»[(١)].

وإذا انتقلنا إلى سورة (ق) وجدنا أن ظاهرة حذف المنعوت وإحلال النعت محله قد وردت في قوله تعالى[(٢)]: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾.

فـ(الحصيد) صفة للنبت، وقد نابت عنه، والتقدير: (وحب النبت الحصيد)،

=

٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه. :٣/ ١٥٥، ١٥٤.

(١) وظائف الصوت اللغوي محاوله لفهم صرفي ونحوي ودلالي للدكتور: أحمد كشك : ص ٦٥، ٦٧.

(٢) سورة البقرة الآية:٩.

وحذفُ المنعوت في هذه الآية لم يكن خلوًا من الدلالة، فقد وقع الحذف للمنعوت؛ لتتوفر العناية على النعت؛ وبذلك استُغني عن المنعوت الذي يتساوى فيه كل ما لا يطلق عليه لفظ "النبت" وأُبقي على النعت الذي يعرض صورة من صور التدبر والتفكير، وأنه إذا كان هؤلاء الكافرون الضالون، قد كلَّت أبصارهم عن أن تصافح السماء، وتقع على موقع العبرة والعظة منها، وأن يعموا أو يتعاموا عن الأرض وما بين أيديهم من آيات الله منها – إذا كان هذا شأنهم فيما في السماوات والأرض، فهذا معرض من معارض النظر، ليس في السماء وإنما هو محسوس بين أيديهم وهو إحياء الله الأرض الهامدة فيخرج من بطنها هذه الحبات والزروع التي يحيا عليها، ويعيش من ثمرها وحبها الإنسان.

❁ النعت بـ (مَنْ) الموصولة:

قد ورد النعت بـ (مَنْ) الموصولة في قوله تعالى من سورة (ق)[١]: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾.

وقد اختلف النحاة بالوصف بـ (من) الموصولة عرض لبعض هذا الخلاف السمين الحلبي بقوله[٢]: «جَوَّز ابنُ عطية في "مَنْ خَشِي" أَنْ يكونَ نعتًا لِما تقدَّم»، وأضاف السمين الحلبي رأيا آخر بقوله: «ويجوز أن يكونَ مجرورَ المحلِّ بدلاً أو بيانًا لـ"كل". وقال الزمخشري: إنه يجوزُ أَنْ يكونَ بدلاً بعد بدل تابعًا لـ"كل" انتهى. يعني أنه بدلٌ مِنْ "كل" بعد أن أُبْدِلَتْ "لكل" مِنْ "للمتقين" ولم يَجْعَلْه بدلاً آخر من نفس "للمتقين"؛ لأنَّه لا يتكرَّرُ البدلُ والمبدلُ منه واحدٌ. ويجوز أن يكونَ بدلاً عن

---

(١) سورة ق الآيتان (٣٢، ٣٣).

(٢) الدر المصون ١٣/ ١٦٧.

موصوفِ أوَّاب وحفيظ، قاله الزمخشري[١]، يعني أن الأصلَ: لكل شخصٍ أوَّابٍ، فيكون "مَنْ خَشِي" بدلاً مِنْ شخص المقدر قال: «ولا يجوزُ أَنْ يكونَ في حُكم أوَّاب وحفيظ؛ لأنَّ "مَنْ" لا يُوْصَفُ بها، ولا يُوْصَفُ مِنْ بين الموصولاتِ إلاَّ بـ"الذي". يعني بقولِه: "في حُكْمِ أوَّاب" أن يُجْعَل "مَنْ" صفةً، وهذا كما قال لا يجوزُ».

وأرى أنه يجوز أن تكون "من" صفة؛ لأنه يجوز أن يوصف بغير "الذي" من الموصولاتِ كوَصْفِهم بما فيه أل الموصولة نحو: الضارب والمضروب، وكوَصْفِهم بـ ذو وذات الطائيَّتين نحو قولهم: «بالفضل ذو فَضَّلكم اللهُ به والكرامةِ ذاتُ أكرمكم اللهُ بَهْ».

(١) السابق ١٣/ ١٦٨.، وشرح الرضي على الكافية ٢/ ٣١٦.

المراجع

١- ابن رشيق القيرواني.ت. د/ النبوي عبد الواحد شعلان. مكتبة الخانجي. القاهرة ط ١. ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.

٢- أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق محمد بهجة البيطار مطبوعات المجمع العلمي بدمشق.

٣- الأشباه والنظائر لأبي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد العال سالم مكرم، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٤- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) تحقيق صدقي محمد جميل.دار الفكر – بيروت طبعة ١٤٢٠ هـ.

٥- البرهان في علوم القرآن للزركشي، أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٦- بلاغة الخطاب وعلم النص، د/ صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة.

٧- البيان في روائع القرآن دكتور / تمام حسان، طبعة عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨- البيان والتبيين للجاحظ عبد السلام هارون – دار الجيل – بيروت – لبنان.بدون تاريخ ورقم طبعة.

٩- التركيب النعتي في العربية للدكتور / السيد علي خضر.مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة.العدد السابع والعشرون.أغسطس ٢٠٠٠.

١٠- التوابع أصولها وأحكامها للدكتور/ فوزي مسعود الطبعة الأولى ١٩٨٤م .
١١- التوابع بين القاعدة والحكمة للدكتور / محمود عبد السلام شرف الدين، هجر للطباعة ا، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م.
١٢- التوابع في الجملة العربية للدكتور/ محمد حماسة عبداللطيف طبعة مكتبة الزهراء - ١٩٩١.
١٣- التوابع في الصحيحين دراسة نحوية، ماجستير لمحمد حماد صابر محمد، كلية دار العلوم. القاهرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
١٤- التوابع في لغة القرآن للدكتور / السيد محمود جامع . دكتوراه بكلية دار العلوم بالقاهرة، ١٩٨٣ م. برقم ٤٠٦٢ بمكتبة الكلية.
١٥- حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق مصطفى حسين أحمد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط الأولى ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
١٦- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة.
١٧- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. ت محمود محمد شاكر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ بدون.
١٨- شرح ابن عقيل على ألفية ان مالك. تحقيق الدكتور / حنا الفاخوري. دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
١٩- شرح ابن عقيل بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني طبعة دار الفكر - دمشق ا لطبعة الثانية، ١٩٨٥تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد
٢٠- شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب تأليف الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ٦٨٦ هـ تحقيق

أ. د. يوسف حسن عمر طبعة ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م، جامعة قار يونس – ليبيا

٢١- =شرح المفصل لابن يعيش علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٢- شرح تسهيل الفوائد لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون طبعة هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٢٣- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، لمحمد علي بيضون الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٤- العلاقات النحوية. ماجستير بدار العلوم – جامعة القاهرة.

٢٥- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية. د/ صبحي إبراهيم الفقي دار قباء القاهرة.

٢٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ت. د/ النبوي عبد الواحد شعلان مكتبة الخانجي القاهرة.ط ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.

٢٧- الكتاب لسيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

٢٨- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م .

٢٩- اللغة وبناء الشعر للدكتور/ محمد حماسة طبعة مكتبة الزهراء، ٨ شارع عبد العزيز. عابدين القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٩٢ م.

٣٠- اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، تحقيق فائز فارس، طبعة دار الكتب الثقافية – الكويت..

٣١- المقتضب لأبي العباس المبرد، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، تحقيق الأستاذ / عبد الخالق عضيمة.

٣٢- من وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي، ونحوي، ودلالي للدكتور / أحمد كشك طبعة دار الطباعة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٥.

٣٣- نتائج الفكر في النحو: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد للسُّهَيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى: ١٤١٢ - ١٩٩٢ م.

٣٤- نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية.د/ سعد مصلوح بحث مجلة فصول المجلد ١٠ العددان الأول والثاني يوليو وأغسطس ١٩٩٢م.

٣٥- النحو الوافي لعباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، طبعة دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.

٣٦- النص والخطاب والاتصال للدكتور / محمد العبد، طبعة الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ط ٢، ٢٠١٤ م.

٣٧- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية للدكتور / مصطفى حميدة، مكتبة لبنان الشركة المصرية للنشر لونجمان الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٣٨- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، لجلال الدين السيوطي، بتصحيح السيد محمد بدر الدين. مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٣٢٧ هـ.

The Role of the Denominator in the Textual Coherence of the Holy Quran: Surah (Qaf) as an example

Dr. Mohammed Owais Juma

Abstract

This research discusses the role of the denominator in the textual coherence of the Holy Quran as one of the most important disciples that occupied a large area in the Quranic text in general ،and in Surah (Qaf) in particular ،

The result of this research is that the grammatical and semantic role of the adjective in the text comes in general to the fullness of the intended purpose. This benefit is achieved by sharing the news and others by drawing the attention of the recipient to the generality of the negation.

This relationship has contributed to the coherence of the verses of Surah (Qaf) and the formation of its significance clearly. And that the grammarians set general principles that define the semantic role of the denomination ،such as the correspondence between them in expression ،type ،number and subordination; and that what came out of the origin of the match was for the purpose of semantic language in which the language relied on the means of bearing on meaning as a language law used in interpreting some of these problematic structures.

Key words:

Text coherence, The Grammar of the Text, Role of the denominator in the coherence of the text, Surah (Qaf).